سرد

قصتان

أسماء فيصل عواد*

قصفة بيغونيا

لا أحد يختار طواعية أن يقطن في ذلك الحي المكتظ خارج نافذتها، ومكتظ هنا تعني حقاً أنه مكتظ؛ هناك، حتى فلذات الأكباد الصغار العائدين من مقاعد درسهم، بحقائبهم المتخمة، وببطونهم الجائعة، يخفقون في غمرة زحام المباني، في معرفة ما تمخضت عنه قريحة أمهاتهم لغداء ذلك اليوم، فحين تتداخل أبخرة قدور المطابخ في آن معاً مراقصة بخطوات غير محترفة، تدوس في طريق عشوائها خيال أحد الجياع الصغار فيصرخ رافضاً تناول العدس فيما داعبت رائحة الملوخية أنفه، لا يحتاج الأمر للكثير من الإنصات لسماع نهنهاته حتى من وراء زجاجها المغلق، بعدما نال نصيبه مرتين وبقي جائعاً، يبكي في زاوية مكشوفة، دموعه تتصطف على خده، وليس هناك من يكترث لمدى جودة أو رداءة تلك الموسيقى التصويرية اليومية، المتقافزة من النوافذ ومن تحت الأبواب ومن حلوق مقاتيحها، إلى جانب نعيق ثلاثة من ذكور الغربان، وجلبة عصافير الدوري الأبدية.

في كلّ ظهيرة، تدرك أنها لا تنتظر أحداً، فصاحب الشخير الذي يشوش على صوت مذيعة النشرة الجوية، تقاعد مؤخراً وانضم لعفش بيت متواضع يخلو من آثار شغب الطفولة، كل ما يرتسم على الجدران عريّ يبدو مقصوداً، يبعث برسائل ملتبسة لزوارها، تحمل عنواناً وحيداً مفاده أن لا ماضٍ استوطن هذه البقعة؛ وكأن هذا ما كانت تربيه طوال الوقت: طمس تفاصيلها بعناية مفرطة حتى بات من الصعب التقاط علامة فارقة لها! زنبركات سريرها تمددت ببلادة قط بلدي ما أن جلست عليه، تلوك ورقة خس فيما الشارع المحاذي يمتلئ بمجموعات اللعب التي سرعان ما تحولت لدوري محترفي كرة القدم في الحواري، صخبهم وهم يشتمون بعضهم ويحتفلون باهدافهم ازعج لا شيئها فلاذت بمطبخها في الجانب الآخر من شقتها، تطل على شارع خلفي ينعم بهدوء نسبي؛ من على طرف الطاولة المحاذية للجدار، التقطت قصفة بيغونيا. نجح غمر طرفها السفلي في الماء بإثبات شبكة جذور تراها في تلك اللحظة مناسبة للزراعة، همّت بالخروج باحثة عن تراب أحمر تملأ به علبة السمن الفارغة، لتواري عورة نبتتها، ولكن صوت صرير باب يغلق مع ضحكة لعوب استوقفها لقربه، من النافذة المفتوحة المقابلة رأت عناقهما الحميم، عندما استلقيا لم يعد في مرمى نظرها سوى خزانة بلا أبواب، للحظة أحست أن جلبة الكون توقفت والضحكات المكبوتة اللامسموعة ترج الأرض من تحتها، راقتها تلك الرعشة التي سرت في جسدها الهرم وتذكرت أنها لم تبتع فوطاً صحية منذ فترة، تملكتها رغبة بأن تكون مستلقية مكان تلك الجارة!

— ألم تكبري؟ مازجت نفسها

انتصب الجار أمامها بصدر عارٍ، أتراه سمعها؟!

أغلق الستارة فالنافذة، تنهدت وعادت لواقعها تسوق أقدامها وشيء ما يرفض الخيبة ذات الإرث القديم من أن تلوح على جنباتها.

على دكة الأريكة القريبة من الباب، تحت ساعة تنبض ولا تتحرك عقاربها، تكومت بصمت، تحاول تخليص بقايا الخسة من بين أسنانها بطرف لسانها، فيسيل لعابها غزيراً، دمها يغلي وأنفاسها تخرج حارة، لملمت طرف ثوبها من فوق ركبتها في كف يسرى تخلو من أي خاتم، هي سرت في جسدها الهرم وتذكرت أنها لم تبتع فوطاً صحية منذ فترة، تملكتها رغبة بأن تكون مستلقية مكان تلك الجارة!

— ألم تكبري؟ مازجت نفسها

انتصب الجار أمامها بصدر عارٍ، أتراه سمعها؟!

أغلق الستارة فالنافذة، تنهدت وعادت لواقعها تسوق أقدامها للقاء آخر، فينجبون ثانية وهكذا دواليك؛ كيف لها أن تكون جزءاً في هذه الحلقة مع زوج متهدل الرجولة مذ عرفته لأول مرة على فراش وهو في منتصف العشرينات؟

تقلّب وجهها في كل الاتجاهات محاولة إزاحة صورة الجار الفحل وتفشل، الشعر الكثيف النابت في صدره يشعل مرجلها أكثر، عادت لتسترق النظر من نافذة مطبخها مخفية وجهها بسذاجة وراء قصفة البيغونيا إياها، النافذة ما زالت مغلقة والغيرة تنهشها كضبع!

تفرق جمع الصبية من الأزقة عائدين لبيوتهم متعرقين ومتسخين فيما تلك النافذة مغلقة مثل قبر فرعوني. مرّ الزوج من جانب زوبعة شهوتها ولم يلحظ ذلك الوجه المقهور، أي خواء أفاض به على حياتها؟

يقضي حاجته واقفاً دون أن يغلق باب الحمام، ظهره ضئيل وقوس نصره منخفض يتناسب مع بطولاته التي لم تحدث. كانت تشغلها العاطفة بعد أن أدركتها هبات «سن الأمل» كما تصر على تسميته الممرضة في المركز الصحي، ولكن أن يجوع جسدها بعد أن حسبته قد تخنط فذلك ما أثار سخطها وأجفل النوم من عيونها.

يكاد ينقضي الليل، سكينة يشوبها زعيق طفل تسكته حلمة أمه، وخفافيش تحلق من مسافة قريبة تفزع شباناً يدخنون تبغاً رديئاً، يفزعون ثم يضحكون.

قلقة، تنظر للشارع الفارغ حيث مواء القطط أخذ بالتصاعد شيئاً فشيئاً، يحترب قطان على أنثى تفترش الرصيف محركة ذيلها، كل ذكر يتمترس في زاوية مستعرضاً، يبدأ النزال الذي ينتهي سريعاً، فيعتلي الفائز منصة تتويجه غارزاً فكيه في رقبتها، تحدق بهما بعيون واسعة وتتحسس رقبتها هي أيضاً، وتنتفض كلما غرز نفسه عميقاً في جسد مستسلم، تأخذها الرغبة لمطبخها فتجد أن النافذة المغلقة قد فتحت وضوء خافت ينبعث منها، تعود لتخطف نظرة على القطط، الفارس في مكانه عالياً، مرة أخرى تهرول للمطبخ لا ترى أحداً، باتت على يقين أنه ينام الآن في حضنها وربما يعتليها، الغيرة تحكم قبضتها عليها، يتضاعف نبضها، تغرز أظافرها بوجهها، تدخل لغرفتها وتتعرى أمام المرآة، تهدأ قليلاً وهي تتحسس ثديها الأيسر متكوراً جميلاً، على يمينه فراغ تعلوه ندبة، وإلى الأسفل منه بطن متجعد بعض الشيء، تشده بكلتا يديها فيفصح عن ندبة أخرى.

ترمق زوجها بنظرة حقد وتبصق فينتشر الرذاذ على نصف صدرها، تغمض عينيها وتحلم بذلك الجار يحدثها هامساً، فيسترسل عسلها من بين رجليها وتشعر بنعاس يحملها وحيدة ليتحت غطاء رتيب لا حضن يحتويها كقصفة البيغونيا في مطبخها.

وصفة

في تلك المرة اصطادتني كف خالتي نظمية؛ أصابعها الباردة وخشنُ جلدها كانا فحوى تحذيرها لي قبيل أن تلمسني، لم تنتظر رد فعلي وبدأت بتمريج عُرَي ظهري الذي أقشعر كزغلول أجرد.

لين فوز، «أزهار بيغونيا صفراء» (أكريليك على قماش، 2017)

قصائد

دُعابَاتٌ سَوْدَاءُ

عدنان محسن*

هجاء الذات:
كل هذا العدد من الموتى
وما زلت قادراً على تناول
ثلاث وجبات في اليوم
بدم بارد
وبأعصاب تتطاير منها النيران.

■■■

لي أصدقاء
ماتوا في ساحة الحرب
لي أصدقاء
ماتوا في غرف التعذيب
ولي أصدقاء ماتوا
ولا أحد يعرف كيف.

■■■

دوماً
يأتي القطار في موعده
حتّى الانتظار
لم يعد ممكناً في هذه البلاد.

■■■

رغم أن القافلة
قد توقّفت عن المسير
منذ فترة طويلة
لكن الكلاب
ما زالت تنبح بحماس منقطع النظير
حتى في أوقات فراغها.

■■■

هكذا كانت المعادلات منذ الأزل:
1 . من لا يغضب من الرجال
لا يعرف المتعة
ومن لا تعرف المتعة من النساء
لا تعرف الخجل.
2 . من لا خصوم له
مثل الذي لا أصدقاء لديه
الأول ينام مثل خروف
والثاني مثل ذئب
لا حاجة للاثنين إلى أقراص منوّمة.
3. من فرط اللدغ
كي يبقى الواحد منهم مؤمناً
هو في أمسّ الحاجة
إلى أكثر من جحرين.
4 . لا فرق بين امرأة وامرأة
ولا بين رجل ورجل
ولا بين رجل وامرأة
إلّا في القدرة على الطاعة
والاستعداد للعصيان.
5 . نحن واحد من اثنين
إمّا رجلٌ
فشل في أن يكون أباً ناجحاً
أو رجلٌ
نجح في أن يكون ابناً فاشلاً.
6 . خلقنا الله
أو صنعتنا الطبيعة
كي ننجب أطفالاً
ليكونوا أسياداً علينا
وعبيداً لمن يحبّون.
7 . الحلم الوحيد
الذي يستطيع الواحد منّا تحقيقه
هو أن يكون عاطلاً عن الأمل.

■■■

من أجل بنت واحدة
أنسى جميع البنات
وأول ما أنساه
بنات أفكاري.

■■■

الموتُ عادة شائعة
أموتُ من الحب
أموتُ من الملل
أموتُ من الانتظار
وعندما أكفّ عن الموت
سأقدّم إلى مجلس الشعراء
نسخةً من استقالتي.

■■■

يا أبا فرات!
«أتعلم أنتَ أم لا تعلم»
أننا نستورد الكرَاث
والمعدنوس
واللهانة
والقرنبيط
وشحَت الدماء في عروق أطفالنا
فقرّر أصحاب الشأن
أن يستوردوا دماءً تكون أفواهاً
لضحايا السنوات المقبلة
كي يجبروا بخاطرك
من جهة
غسلت كفيها وبتثاقل جففتهما
بطرف منديلها المعقود لخلف
رأسها، أغرقت سبابتها بصحن
الزيت ثم ما لبثت أن أدخلتها إلى
فمها مدلكة مكان أسنانها، بلعت
ريقها وبنبرة لعوب أشارت عليّ
بتخفيف الإضاءة في غرفة نومي
عدة أيام وهي تضحك كاشفة عن
لثتها الصلعاء اللامعة.
أمضيت مساء ذلك النهار بتفحص
نفسي، في الحقيقة، لم تكن الجروح
غائرة كما كنت أشعر بها كلّما
لامسها قميصي، تحسست سطح
ما اعتقدته خنادقَ، ومراراً قارنت
بينه وبين انعكاس صورته على
المرآة، وكان لا شيء، مجرد خدوش
بسيطة؛ هل أصدق إحساسي أم
أصدق وجه المرآة البارد وقلبها
الأجوف؟
مرة أخرى في الموعد البيولوجي
المحدد يسحبني الدرج الإسمنتي
الطويل لذات الكف؛ لقد صعدتُ
للأسفل!
مع كل درجة أهبطها، كانت روحي
تنتزع نفسها مني بعد فشلها
بتفادي هذه الزيارة الاستشارية،
فاكتاف أمي الذابلة سدت أفق
الطريق خلفي، وما من مفر إلا
الصعود للأسفل.
على الضفة الترابية يساري، جدائل
«حصى البان» تنثر بوح زيتها في
ركن الشمس ساعة العصر؛ كنت قد
وصلت لقعر الدرج عندما مددت
يدي وصافحت جديلة عطرية
دون أن أبترها، تذوقت أصابعي
فتجعدت ملامحي من المرارة ومن
هول الطعم، هل أخبركم أحد قبلاً
أن بوح الزيت مر والشفاء طريقه
مر؟ أما أنا فقد أفهمتني هذه
الحقيقة خطوات الكف الخشنة
الباردة على ظهري في زيارتي
الماضية. استلقيت على الأرض
كما لو كنت على دكة غسل الموتى؛
هبطتْ بجانبي مرتدية قميصاً
قطنياً مزركشاً ثبتت أزراره بخيط
غليظ كصوتها وهي تطلب مني
ألا أخجل منها؛ كيف أخجل والمقام
مقام ألم؟!
حرثتُ بطني وكأنها تبحث
عن مفقود، وبسبابتها، التي
تستخدمها في كل شيء، ضغطت
على صُرّتي فصرختُ، نهرتني
وعدت لدكتي أبتلع دمعة متحجرة.
الوصفات الطبيعية، وبركة القديم،
وتوصية بزيارة الطبيبة الروسية،
خلاصة فحصي الشعبي الذي
يرمي لتعمير بطني بطفل؛ إذن،
علي أن أتبع التعليمات بدقة قبل
زيارة تلك الطبيبة الروسية، التي
تعتقد عجائز حينا أنها أفخم
طبيبة عرفتها البشرية، فهكذا
أوحت لهن شهادتها بالطب العام
المعلقة على حائط عيادتها الرتيبة
في المجمع الذي يقبع فوق سوق
الخضار والفواكه!
أدخل لمخدعي منهكةً من الفحص،
ومرارة حصى البان تلتصق بباطن
كفي كوشم أبدي؛ هذا سريري
المزدوج الذي أحتلّ يمناه فيما
شطره الآخر مهجور، هذه الشماعة،
هناك النافذة تكسوها ستارة
متواضعة ولكنها نظيفة، الخزانة
وقورة، أفتح بابها بروية لأعلق
ملابسي، أمد يدي لأتأكد من الركن
الخاص بقمصانه فيرد علي صدى
الفراغ، يقرصني الألم في صرتي
ويقرع في رأسي صوتي المختنق
يسألني: هل هناك حاجة لوصفة
خالتي نظمية، بعد سنوات ثلاث
جاورني بها في الحجرة الأخرى؟

* عمان/ الأردن

الزعسة
ليحيى الشيخ
(العراق ـ زيت على ورق)

ومن جهة أخرى
سنضمن لكلّ ضحيّة
ما يكفي من الدماء.

■■■

قالت لي الأيام
لا تبلِ في حياتك إلّا مرّتين
مرّة
عندما تكون
ومرّة
عندما تكاد أن تكون. قال لي الدهر
جميع الأصدقاء من الغرقى
ينتظرون قدومك
بقلوب حافية القدمين.
قالت لي المرآة
لا تحدّق كثيراً بوجهي
فتنسى وجهك فيّ.
قال لي الماضي
انظر إلى الوراء
كلّ ما تريده
في الخلف.

■■■

وحيد
مثل قطرة نبيذ
في كأس فارغة
ما هذه الصورة الباهتة
قل
وحيد مثلي.

■■■

كلّ ما أخشاه
أن يأتي يومٌ
لن أكتب فيه حرفاً واحداً
مخافة أنّ لا يحبّه ممن أحبّهم
ويريده من لا أريد.

■■■

كلّهم يقولون
«يا ليتنا كنّا معكم
فنفوز فوزاً عظيماً»
الكلّ يحلم بالجنّة
والكل يرفض أن يموت.

■■■

لو كان الموتُ رجلاً
لما قتلته
وكنتُ سأعلّمه التدخين بشراهة
والشرب في أقرب بار
وحبّ امرأة تُجيد القراءة والكتابة
عندها
سيلقى حتفه
وفي نفسه شيء منّي.

■■■

لم أرَ كيف فعل ربّك
بأصحاب الفيل
لكنّي رأيتُ بأمّ عينيّ
كيف فعل بأصحابي

■■■

أنا صانع المعجزات
لم أمشِ أبداً على ماء
لكن
من فرط هزائمي
سقطت على الأرض
مزهرية البيت من تلقاء نفسها
ومن فرط ما يتّسع القلب
صرتُ أحفظ على ظهره
جميع ما لم أكتب
من قصائدي
وآخر معجزاتي
ذهبتُ هذا الصباح
إلى مقبرة الأصدقاء
ولم أتعثّر في مشيتي
إلّا مرّة واحدة.

■■■

ترستان تزارا
صديقي العزيز!
سبقَ لكَ أن علّمتنا
كيف نكتب قصيدة دادائية
وها أنا الآن بدوري
سأعلّمك كيف تحنّط شاعراً
بسهولة بالغة
خذ قليلاً من المجاز والكثير من الصفات
وكلّ ما يروق لكَ من الاستعارات
وبنفس المقادير من المضاف والمضاف إليه
مثل
بريد البرق
منزل الدم
أيادي الريح
بئر القلب
سفينة النوم
باخرة الليل.. الخ الخ
اخلط الجميع حسب الاتفاق
أطلق رصاصة الرحمة على المعنى
بعد أكثر من مجلد أو مجلدين
من الأعمال الكاملة
ها أنتَ أمام مومياء ناطقة
حاضرة في جميع المناسبات.

■■■

سابقاً كان البكاءُ نادراً
حينئذ
دخلت كلمة دمعة
كلّ القواميس الشعرية
واليوم
الكلّ يبكي لسبب أو
بدون سبب
فخرجت الدموع من الشعر
وخرج هو الآخر عليها.

* باريس/ العراق